

العلاقات الأميركية – المصرية

■ **حميدي العبد الله**

هل أنهت زيارة جون كيري إلى القاهرة حالة الفتور والتوتر التي شهدتها العلاقات المصرية الأميركية منذ سقوط نظام «الإخوان المسلمين»؟ للوهلة الأولى تبدو زيارة كيري، وما سبقها من إفراج الولايات المتحدة عن دفعة جديدة من طائرات «فانتوم»، التي اشترتها مصر من الولايات المتحدة وكانّ العلاقات بين البلدين عادتٍ إلى طبيعتها.

لكن من تابع المؤتمر الصحافي المشترك، وما أدلى به وزيراً خارجية الولايات المتحدة ومصر، لا يخطئ الاستنتاج بأنّ العلاقات لا تزال على ما كانت عليه ولم يحصل أيّ تطوّر بارز يعيدها إلى الحرارة التي كانت عليه في عهود السادات ومبارك ومرسي. فقد أبرزت تصريحات كيري تأييده الكامل لجهود مصر لمكافحة الإرهاب ممثلاً بالدرجة الأولى في تنظيم «داعش»، ولكن كان واضحاً أنّ لدى الوزير الأميركي تحفظاً لجهة معاملة جماعة «الإخوان المسلمين» كجماعة إرهابية، وهو الأمر الذي اضطر وزير خارجية مصر للتوضيح بأنّ الإرهابيين جميعهم لهم صلات فكرية مع جماعة «الإخوان»، وأنّ فكر «الإخوان» له دور كبير في خلق بيئة ملائمة للإرهاب.

هكذا يتضح أنّ المشكلة الأساسية التي كانت في أساس فتور العلاقات المصرية – الأميركية لا تزال قائمة، ولم تغتَرِ الولايات المتحدة موقفها من جماعة «الإخوان المسلمين». ولا تزال تحرض على مشاركة هؤلاء في الحياة السياسية المصرية والسماح للجماعة بممارسة أنشطتها بحرية، وهو الأمر الذي رفضته وترفضه مصر، لا سيما في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي.

بمعنى آخر لا تزال الولايات المتحدة تعارض الإجراءات المصرية ضدّ جماعة «الإخوان المسلمين»، في حين أنّ السلطات المصرية ترى أنّ الخطر الرئيسي على الاستقرار وحتى على وجود الدولة المصرية يأتي من جماعة «الإخوان المسلمين» بالدرجة الأولى. من المعروف أنّه ما عدا قضية «الإخوان المسلمين» ليس هناك خلاف جدي بين مصر والولايات المتحدة، فموقف مصر من الكيان الصهيوني واتفاقات «كامب ديفيد» بل إنّ قادة الكيان الصهيوني طالبوا الولايات المتحدة بعدم مصر وعدم السماح لقضية «الإخوان المسلمين» بزعزعة العلاقة المصرية الأميركية، والمواقف من أزمات المنطقة متشابهة بين القاهرة وواشنطن. والولايات المتحدة تزعم أنّها تدعم العمل السياسي لا العسكري في سورية واليمن، ومصر تعلن دائماً دعمها لهذا الخيار، وكان آخر ذلك تصريحات وزير خارجيتها في المؤتمر الصحافي المشترك مع وزير خارجية الولايات المتحدة. لكن قضية جماعة «الإخوان المسلمين» والنسبة إلى الدولة المصرية في قضية جعد، وبالتالي غير قابلة للنقاش، ولا تقبل السلطات المصرية المساومة في هذه المسألة، وحتى لو رضخت السلطات المصرية للمضغوط الأميركية وضغوط دول أخرى في المنطقة تدعو مصر إلى إعادة النظر بموقفها من «الإخوان»، فإنّ الغالبية التي خبرت حكم جماعة «الإخوان» لن تقبل ذلك، ولهذا يتوقع أنّ يستمرّ التباين بين الولايات المتحدة ومصر لفترة طويلة.

واشنطن تصعد لتبثّر

تسارع واشنطن إلى الشرق الأوسط لشرح خبايا الاتفاق النووي والغاية منه وتأثيره على مصالحها في الشرق الأوسط من جهة، وتأكيد عدم إضراره بحلفائها، فحضر جون كيري إلى المنطقة لهذا الهدف.

الإيرانيون يدورهم يسارعون إلى بث التطمينات بين الخصوم ويفتحون سلسلة توافّد البواب هم وحلفاؤهم من أجل التوصل إلى حلول للملفات العالقة، وأبرزها الأزمة السورية، وها هي إيران تمّ ديدها مجدداً للسعوديين ومن ورثها موسكو التي على ما يبدو تحضّر ارضية جديدة للقاءات الحليف بحليف الحليف، حيث هذه المرة تصدر الملف السوري جدول أعمال الدول الكبرى، وكانه ثاني أهمّ الملفات التي ستوضع على نار حامية بعد حلّ أزمة الملف النووي الإيراني، وبهذا يؤكد الأمريكي أنّ ملفنا الحلفاء هي سلسلة متشابكة تعمل بسلم أولويات يبدو أنّ الأمريكي استسلم لحلها لأسباب داخلية أميركية يرتبط ملف الأرهاب مباشرة فيها مع توقعات بكونه أبرز الأوراق الانتخابية لأوباما حزبه الديمقراطي.

بالعودة إلى سورية، وأمام كل الانفراجات التي يبثتها الكواليس حول لقاء مؤكّد جرى بين رئيس مجلس الأمن الوطني وهو «المشرف السياسي» اللواء علي مملوك وزير الدفاع السعودي ولي ولي العهد محمد بن سلمان، براعية روسية، وما يمكن لهذا اللقاء أن يمهّده له في طريق تهذيب أرضية لقاء أمريكي ـ سوري، يخرج البيت الأبيض ببيان يطرح فيه إمكانية لجوء واشنطن إلى خيارات متعدّدة للدفاع عن القوة التي أنشأتها للدفاع عن المسلحين الذين درّبهم، فتمتعضت الخارجية الروسية من البيان وتدوين الإجراءات الإضافية التي اعترضت واشنطن في تلميح إلى إمكان توفير غطاء لهم مؤكّد أنّ الخطوة الأميركية ستؤدّي إلى نتائج عكسية. مجدّدة موقف موسكو في ضرورة الوقف الفوري لكل أشكال التدخل الخارجي في الأزمة السورية. التباينواغم أكد من جهته أنّ الولايات المتحدة نفذت أول غارة جوية لها في الأراضي السورية لدعم مجموعة من المسلحين المعارضين الذين درّبهم لمؤازرة مجموعة مسلحين يطلقون على أنفسهم اسم مجموعة «سورية الجديدة».

هذه الأجواء توجي بأنّ التعقيد يشوب المشهد السياسي والأمني في سورية، وأن لا تقدّم أميركياً حقيقياً لمساعي الحلول الجدية التي باتت الأروقة الدبلوماسية تتحدث عنها.

أنّ الحل السياسي في سورية يبدو أنه سيكون أسرع مما يتوقعه كثرون في ظل المساعي الروسية في التخصييز لأجواء مؤامنة يبدو أنها نجحت فيها خصوصاً مع الجانب السعودي، وبالتالي فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه ما هو لزوم التصعيد الأميركي في هذا التوقيت وما هو سرّ البرودة السورية من هذه الناحية؟

الجواب الوحيد تعرفه الإدارة الأميركية وتمارسه بخفة شديدة، فالذي يعرف أنه في ذروة الأزمّة لم يستطع تدريب وتأهيل وتوحيد جماعات مسلحة في سورية تتكلّم جزءاً من المعارضة السورية المعتدلة المفترضة يعرف انه اليوم غير قادر على اعتبار أنّ حرباً كبرى ستخوضها الولايات المتحدة بستين مقاتل فقط أو ما يعادله وبالتالي فإنّ هذا التصعيد الأميركي ليس سوى تمهيد للحرج في إبقاء أنّها أمّت كل ما يلزم للمعارضة السورية وقصفت ودعمت وحثت. لكن المعارضة لم تفلح بالصمود... فلا يعود هناك سبيل من التوجه نحوالنظام السوري من أجل الحل... التصعيد الأميركي ليس سوى تبرير للتواصل مع الأسد.

«توب نيوز»

– تكاثرت التصريحات عن عمل عسكري تركي مرة وأميريكي مرة في سورية،

وكل مرة تحت عنوان مختلف.

– الاتراك تحدّثوا عن مناطق عازلة وحظر جوي ثم تراجعوا بعدما أبلفهم الاطلسي استحالة ذلك واكتفوا بنظرية توفير الغطاء الجوي لمسلحي المعارضة المدعومة منهم ومن واشنطن.

– انضمّ الولاامركيون وتحذثوا عن تفويض طائراتهم ضرب الجيش السوري إذا تعرّض لهم الأوسلمسلحين الذين درّبتهم واشنطن.

– كيف سجدت ذلك؟

– واشنطن تقول أنّ الذين ترّبهم سيقاتلون «داعش» فقط، وبالتالي فهي تهدد الجيش السوري إذا تعرّض لهم وهم يقاتلون «داعش».

– هذا التهديد الذي أتتقديم مخرج كلامي للاتراك الذين يحتاجون خطاباً يتناسب مع سبقتهم العالي ضدّ الدولة السورية ورئيسها، ويناسب السعودية التي تريد لغة أميركية شديدة في وجه سورية حتى لو بلا أفعال.

– يعرف الأميركيون والاتراك أنّ مسلحيهم السوريين الذين يعدّون على الأصباح يتعرّضون للخطف من «النصرة».

– كلام بكلام ولكن؟

– اللغة الأميركية والتركية فرضت على سورية وروسيا وإيران التحذير من أي خطا مع الجيش السوري، لأن الرذ سيكون قاسيا وموجعا.

التعليق السياسي

المحرقة الدائمة*

■ **معن بشور****

حين يضطر مجرم الحرب الإرهابي ننتياهو المسؤول سياساته وثقافته وعقيدته عن كل الجرائم الإرهابية في فلسطين والوطن العربي إلى التبرؤ من جريمة حرق الرضيع علي سعد دوايشة مع ذويه في منزلهم، وحين تضطر الإدارة الأميركية المسؤولة تاريخياً عن تغلية كل جرائم هذا الكيان الجماعة والفردية بذيريعة الدفاع عن النفس إلى إبانة هذه الجريمة المتوحشة، فذلك يعني أنّ جريمة حرق الرضيع الشهيد على سعد دوايشة قد تحطت كل المقاييس والاعتبارات الإنسانية والأخلاقية.

ولكن هل يكفي الاستنكار والإبانة من تل اييب وواشنطن، بل من كل عواصمنا العربية وعواصم العالم، للرّد على هذه الجريمة التي تتشف أن المشروع الصهيوني الذي قدّم نفسه كضحية للمحرقة النازية يفوق منذ تأسيس كيانه محرقة مستمرّة بحق الشعب الفلسطيني، والتي وصلت إلى ذروتها بحرق عائلة فلسطينية في منزلها وادّت إلى استشهاد رضيعها على سعد دوايشة قد تحطت والحياة والفرح وكل القيم التي لا يطيقها الصهاينة الإزهايون من حولهم.

لرّد على هذه الجريمة، فنترح عليكم وباختصار جملة أفكار نأمل أن تجري متابعتها مع كل الجهات الفلسطينية والعربية والدولية المعنية.

على الصعيد الفلسطيني

- دعوة القيادة الفلسطينية إلى تنفيذ قرار المجلس المركزي الفلسطيني بإلغاء التستيق الأمني مع العدو الصهيوني وتجاوز كل الاعتبارات والعوامل التي تعيقه.
- دعوة وسائل العمل الوطني الفلسطيني إلى جميعا، وكل الهيئات الشعبية الفلسطينية إلى إطلاق انتفاضة عارمة لا تتوقف إلا بتحرير الأرض المحتلة واستعادة القدس المنتفضة بفصل شياؤها منذ زمن وعودة مقدساتها حرة عزيزة، إلى وطنها كعاصمة دولية له.
- المباشرة الفورية بالملاحقة القضائية الدولية للكيان الصهيوني عن كل جرائمه، بما فيها جرائم اغتيال والقلم التي وصلت إلى معدل ألف جريمة تقريبا في كل عام منذ سنة 2004.
- تجاوز كل العقيات والحواجز والعوائق أمام تنفيذ كل اتفاقات الوحدة الوطنية وتوافقاتها المرتكزة على فواتب العمل الوطني الفلسطيني، مهما كانت التضحيات القويّة والفصائلية كبيرة، فالانقسام الفلسطيني المستمر كان وسيبقى الثغرة الأكبر التي ينفذ منها الاحتلال ويمارس العدوان والحصار والاستيطان والتهودي.
- الوقوف بحزم أمام كل مخطلطات التوتر والفرقة الفنن في مخيمات الشتات تمهديا لتدميرها وإسقاط حق العودة، باعتبار لاوجود للاجئين بدون مخيمات، وإميزن لحق العودة في غياب اللاجئين، واعتبار كل محاوالت لإثارة الفتنة أو ادغامها كما هو الحال في مخيمات الشتات في لبنان وسورية هو الوجه الآخر لجرائم العدو في الوطن المحتل.

6- إعطاء الأولوية لرفع الحصار الجائر عن

البناء

قطاع غزة وتعاون الجميع، فلسطينيين ومصريين وعربيا، لتحقيق هذا الهدف الوطني والقومي والإنساني باعتبار هذا الحصار هو الوجه الآخر للعدوان الصهيوني الجماعي والفردى بحق الشعب الفلسطيني.

على الصعيد اللبناني

- دعوة جميع الأحزاب والقوى السياسية اللبنانية، مهما كانت خلافاتها واسعة، إلى التلاقي في وقفة تضامن وطنية واحدة مع شعب فلسطين وقيّصته العادلة.
- دعوة المرجعيات الروحية الإسلامية المسيحية، إلى إطلاق مبادرات باتجاه مواجهة الجرائم الصهيونية وحماية المقدسات الدينية.
- دعوة المؤسسات والهيئات المعنية بحقوق الطفل والإنسان في لبنان إلى عقد اجتماع واسع يضع خطة تحرك واسع من ضمنها مسيرة أطفال كبيرة تتوجه إلى مقر الأمم المتحدة في بيروت.
- دعوة وسائل الإعلام إلى تغطية بتعنية وإبراز كل تحرّك تضامني في فلسطين، كما تدعو كل الهيئات الثقافية والمثقفين إلى التحرّك لتسليط الضوء على الجوانب الثقافية والأيديولوجية للمشروع العنصري الصهيوني.

على الصعيدين العربي والإسلامي

- دعوة الحكومات العربية والإسلامية إلى اتخاذ مواقف صارمة تجاه العدوان الصهيوني المستمرّ بحق الشعب الفلسطيني والأمة العربية، عبر فتح كل العلاقات العلنية والسريّة مع هذا العدو، وتنقية العلاقات البينية العربية من كل الشوائب والثغرات التي يستخدّمها أعداء فلسطين والعروبة للإعمان التي تشثيت الأمتة وتمزّيقها وحرف الانتظار عن العدو الرئيسي لها.
- قيام الحكومات العربية والإسلامية بتنفيذ كامل التزاماتها تجاه الشعب الفلسطيني وقدراته والمرابطين في الأقصى، كما تجاه فلسطينيي الشتات المهذبن بتعليمهم وصحتهم وحياتهم من خلال تقليص خدمات الأوترو، فمعركة الشعب الفلسطيني واحدة في الداخل والخارج، على المستوى الوطني كما الإنساني والاجتماعي.
- دعوة المنظمات الإقليمية العربية والإسلامية وحركة عدم الانحياز بالتحرك لإدانة الكيان الصهيوني في مجلس الأمن عبر قرارات واضحة تمتحن جدية الادانة الأميركية، وعبر تشكيل محكمة دولية خاصة بجرائم الكيان الصهيوني على غرار محاكم ممانلة عرفها العالم.
- المحرقة الاستثنائية التي يخوضها شعب فلسطين في كل أجزاء الوطن، فنترض بالنتظام الرسمي العربي مراجعة كل خياراته وقراراته، بدءا من إصلاح الخلل الخطير الذي انتابه في السنوات الاخيرة منذ الاعتراف بالاحتلال الأميركي للعراق 1/8/2015 بحضور 55 شخصية لبنانية وفلسطينية وعربية للتداول في سبل الرّد على جريمة حرق الطفل علي سعد الدوايشة في دوما – نابلس على يد المستوطنين الجرائم الممانلة.
- توجيه مذكرة باسم المجتمعين إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى منظمة اليونسف وإلى سرفاء الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن لتنضّم دعوتهم للتحرك لمعاقبة المجرمين الإرهابيين وكل من يقف ورائهم داخل الكيان الصهيوني وخارجه.

* ورقة عمل قدمت إلى الاجتماع الطارئ الذي انعقد في (دار الندوة) في 1/8/2015 بحضور 55 شخصية لبنانية وفلسطينية وعربية للتداول في سبل الرّد على جريمة حرق الطفل علي سعد الدوايشة في دوما – نابلس على يد المستوطنين الجرائم الممانلة.
**الأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

إيران دولة العتبة النووية ومجمّع سوريك وديمونا

■ **المحامي محمد احمد الرسّان***

انعكاس لصمود سورية

في المنظور الإسرائيلي الصهيوني لاتفاق إيران النووي باتّه عملياً؛ هو نتاج صمود الدولة الوطنية السورية وتماسك جيشها وأجهزتها الأمنية ومؤسسات القطاع العام، وفي الممثل صمود الشئق السياسي السوري- «إسرائيل» الصهيونية تری في فعايل وتفاعلات جنيّف إيران الموقتة حتى اللحظة، یعنی الاعتراف بإيران دولة إقليمية لها نفوذها ومجالها الجيوي في جل منطقة الشرق الأوسط، ويحقّ إيران في تحصيل البرونيوم كعمليّة تقنية نويّة وبعيدا ونسبة التخصيب، یعنی ضخّ المزيد من الأموال المحمّدة، وهذا یقود إلى تحسين الاقتصاد الإيراني، وبالتالي تحسّن وفتحالت اقتصاد السوري المازوم نتيجة المسألة السورية. ويعنی تخفيض نسبة البطالة في إيران بشكل ملموس، وتخفيض نسبة التضخم المالي، واستعادة العلة الإيرانية لما فقدته من قيمتها، وبالنتيجة إحياء ذات متصاعدة لدورة الاقتصاد الإيراني. وفي ذات السياق التام عزى «إسرائيل» الصهيونية، أنّ جنيف إيران ما زال غامضا ويحتاج إلى مزيد من الإيضاحات والكشف عن مفصلات المعلومات، وصحيح أنّ إيران لم تتنازل عن حقها في التخصيب.

من جانب حذر، تنظّر «إسرائيل» الصهيونية إلى اتفاق إيران كحدث سياسي، قد یقود إلى حالة استراتيجیة من العلاقات المختلفة مع العاصرة الأميركية واشنطن دي سي، ومن جانب آخر كنتيجة مغفلة سوف یقود إلى التقليل من الرقعة الجیواستراتيجية، التي تسيطر عليها روسيا والصين في منطقة الخليج، وقد یقود هذا إلى إحياء عودة النفوذ الأميركي إلى آسيا الوسطی عبر إيران، ویقود إلى تراجع تركيا وتمایز في علاقاتها مع واشنطن. ولكن «إسرائيل» الصهيونية تعاقول إخفاء إبناسمته هنا: أنّ جنيف إيران سوف یؤسس إلى تحفیر تدريجي في نواة المجتمع الإيراني عبر البطیقة الوسطی الإيرانية، واستعادة الأخيرة لدينامیةا بسبب تحسّن الاقتصاد الإيراني، كونها الطبقة التي یمكن الرهان عليها في إحداث التغيير المنشود والمأمول أميركياً وغربياً وصهيونياً، كونها طبقة لها آفاق سياسية كبيرة في إيران وهي ذات مكون بشري شاب، والطبقة الوسطی في إيران هي مصنع القیادات السياسية والثقافية والفكرية والعلمیة والعسكريّة والاستخباریة، بينما «إسرائيل» الصهيونية تصدح بنشّف بأن الطبقة الوسطی في ایران تتمّ ذیوینها والغاؤها ضمن نهج محدد في الأسباب الاقتصادية وغيرها، لتأجيل ویاؤ في إلغاء أيّ رهان سياسي عليها في التغيير مع كل أسف، ففي حالة اندلاع الصراع ویاؤ التنافس لمستويات ساخنة على المدى الطویل في الداخل الأردنی، فسوف تكون النتائج عنیقة بالمعنی السياسي والأمني والمورد البشري، فلا طبقة وسطی یمكن لنواة الدولة الأردنیة عندها الركون إليها، لإعادة التوازن للصراع المجتمعی، أو إن شدّت سبّه التنافس بفعل المحفزات الداخليّة والجغرافية والإقليمية، والتي یصار لتوظیفها عبر البلديبریغ الأميركي ونواته الأممیة، بعد تعثر المشروع الأميركي في سورية.

محام، عضو المكتب السياسي للحركة الشعبية الأردنية
www.roussanlegal.opi.com
mohd_ahamd2003@yahoo.com

أراء

تركيا والخروج

من «المولد بلا حمص»!

■ **محمد ح الحاج**

حكومة العدالة والتنمية التركية تعيش أزمة مقدمات الحرب، قرأ الكرد حقيقة النوايا التركية الهادفة إلى إقامة منطقة آمنة على الأرض السورية فوقوا ضدها، سقطت الهدنة بين حزب العمال الكردستاني الأتراك بالضربة القاضية، فبدأت عمليات الهجوم التركي تأخذ منحى حرب شاملة على الكرد في مناطقه ضمن الأراضي العراقية والسورية، وهي لا تستهدف حزب العمال وحده وإنما تطلل وحدات الحماية الكردية، وهي عديد من فصائل كردية مختلفة، هكذا قرأت القيادات الكردية النوايا التركية بشكل صحيح وبدأت عمليات الرّد، إذأ، هي الحرب مفتوحة على كل الاحتمالات.

اختلاف وجهات النظر بين الإدارة الأميركية والقيادة التركية حول منطقة أمان السورية والعراق وفرض منطقة حظر جوي، اختلافات جذرية، واشنطن أعلنت تسلمها من هذا الموضوع، وقد يتطوّر الاختلاف إلى خلاف، هذا ما يقوله محللون أتراك وعرب وأجانب، وقد لا يقتصر الخلاف على الإدارة الأميركية، ألمانيا ليست راضية عن نهج الحليف التركي، ووزير الخارجية الألماني شتاينماير ينصح الأتراك بعدم هدم الجسور مع الأكراد، نصيحة قد تمثل موقفاً مستقبلياً، فالألمانيا انطلاقاً من ظروف داخلية لا تقبل التفريط بالأكراد وهي تريد الحفاظ على علاقاتها مع الأتراك في آن معا، بطيختان قد لا يمكن الإمساك بهما بيد واحدة، الأوروييون بشكل عام – ما عدا فرنسا – لا ينظرون بارتياح إلى الورطة العراقية، سواء في سورية أو تصعيد حربها النائمة مع الأكراد، ما قد يورّط خطف الناتو في الجردية بطريقة ما، فكتون ورطة يصعب الخروج منها.

حكومة كردستان العراق المحلية تطلب من حزب العمال إخراج قواعد خارج أراضيها، في الوقت الذي يطالب رئيس الحكومة العراقية تركيا بوقف غاراتها على الأراضي العراقية وعدم انتهاك سيادة العراق، فمن هو صاحب السلطة الشرعية في العرف الدولي؟ وهل يملك البرزاني القدرة على ضبط الشارع الكردي بينما تتعرّض نراه وتجمعاته للقصف التركي، ويسقط من أبنائه ضحايا من نساء وأطفال وشيوخ؟ البرزاني الذي خلف نفسه لحماية بلده من مليونية لحظاظ على مصالحه الشخصية وعلاقاته المشبوهة مع «السلطان» أردوغان يتجاوز التزاماته القومية، وربما يقامر بما بقي له من سمعة وظل قيادي بين الأكراد، فالإي متى يستمر شهر الميصل بسيد بين أردوغان؟ الجبهة الداخلية ليست في حال من التماسك يسبح لأردوغان بحرية التصرف، الأحزاب والمنظمات التركية المعارضة لسياساته تحارب سورية وتجاه الأكراد تتجاوز نسبيتها نصف الشعب التركي، ولأنه فشل في تيل الأغلبية التي تمكّنه من تعديل الدستور والحصول على صلاحيات مطلقة، قد أصبح ملغول الدين حتى في تشكيل حكومة وحدة وطنية، حال الضعف لأردوغاني يدرك الغرب ويعلم أنّ الرهان على حسان خاسر لن يكون في صالحه، وأول من يتجه لتغيير مساره حكومة أوباما التي أصبح حتمياً عليها تفضيل مصالحها الكبرى قبل الأخذ بمصالح الحلفاء الكبار وليس الصغار فقط، تركيا ودول الخليج توابص صغيرة لا تأخذ الإدارة الأميركية مصالحهم ومن حساباتها، أميركا بدأت رحلة التكويع وتنظر من هؤلاء أنّ بطاطفوا برؤوسهم كما التلامذة الصغار ويقولوا حاضر.

«داعش» يضرب في العلق التركي، وحزب العمال أيضاً، أعلن نهاية الهدنة التي أصبحت بلا معنى بعد الهجوم التركي الواسع على قواعده، وعاد يضرب موجعة، وإذ تعلن تركيا أنها بالحرب على داعش، فقد تلقى من الغرب من يدعم توجهاتها ويمدّ لها يد العون، أما الحرب على الأكراد فالأمم مختلف، في هذه الحالة الجميع، وأقصد حلفاء تركيا «الناتو» يدعونها إلى الحوار وحل المسألة الكردية سياسياً، بمعنى أنّ الحرب على الكرد لا تلقى التأييد والدعم على العكس من ذلك قد نجد دولاً تمّد يد العون إلى الأكراد ولا يطرح سربة بحيث يستمرّ ميزان القوة المتقارب... فتكون حرب استنزاف طويلة ومبررة للقوة التركية وتترافق مع جهات مفتوحة قبلاً، مفروض أنّ يكون العراق وسورية أول المبادرين لدعم الأكراد، وذلك كردّ منطقي مشروع على دعم أردوغان لتنظيم «داعش» الإرهابي والإمداد والبراج والسلاح على طريق تدريب السبيلات وفتح الحدود والمراجب التركية بما فيها الموائى والطائرات، ولكن، هل العراق وسورية وحدهما مهيئتان بالأكراد؟ يجب أن لا ننسى أن دولا أوروبية كثيرة ستتخذ موقفاً مماثلاً، وسيجد أردوغان نفسه بنوء تحت حقل لقططة الوطاة لا طاقة له به.

أحلام أردوغان الوردية في التوسع جنوباً وبسط سلطته على امتداد البلاد السليب حتى اللاذقية، ووضعب إدلّب وحلب تحت نفوذه سلطت، وكل من تسقط ويستقى شوكة في عنينه، والجيش السوري لم يغادر المنطقة، الحسكة تستعيد عاقبتها، والهزيمة تلحق بأدوات تركيا، ويدبر الزور أيضاً، والأمم مختلفة الحدود ونهج العرب... ويجد «السلطان» نفسه بعد أكثر من أربع سنوات يعيش معاناة مزمنة داخلية ومراوحة في المكان، وبداية انسحاب التعاطف الغربي والعربي معه، فهل يستفيد من الدروس ويبدأ بمراجعة ذاتية مع نفسه فيصالح مع شعبه أولاً ومع الجوار الذي أعلن أنّ سيكون بينه وبينه صفر مشاكل، فإذا هي ترتفع جبال شامفاً وكأنا من المشاكل لا عدل لها ولا حصر» ما مصر، مع العراق، مع سورية، وحتى مع إيران، وقد تظهر في القريب إلى العلن مشاكل ليست بالحسبان مع دول أخرى أولاً روسيا، وتطول القائمة إلى عدد من الدول الأوروبية إنّ استمرّ الهجوم على الأكراد أو تطوّر إلى الأسوأ، أردوغان وحزبه كتلة كبيرة من المشاكل يبدو أنها عصية على الحل من دون إسقاطها داخلها.

بدأ العد العكسي لإجتماع الدولتين الكبيرتين، روسيا، أميركا، ومعهما السعودية، وستكون إيران الحاضر الغائب الأكبر، تحضر العنينة مثقلة بأبعاءه حرب عدوانية على اليمن الشقيق، هذه الحرب العنيدية لم تكن نخباً، فترفضها عبر السماء وتسخرها على الأرض، حدّت بذاتها ويستحيل عليها الهباء نهائيتها، تحمّس لها البعض وشارك طمعا في فائض المال أغلب هؤلاء، سينسحبون، قد يكون جانب من الاجتماع لبحث المخرج منها، لكن أميركا معنية بأبواب أخرى كما روسيا التي قد تحاول التوسط مساعدة للسعودية على إيجاد مخرج، لكن أميركا وروسيا ستتقدّمان لدول الخليج تلميحات وضمانات بعد الاتفاق النووي مع إيران، وستدفعان باتجاه علاقات طبيعية مع الدولة الجارة التي لم تترك مناسبة إلا وابلعت عن حسن نواياها ورغبتها في إقامة علاقات طبيعية مع دول الجوار للحفاظ على أمن وسلامة المنطقة، أغلب دول الخليج سيتجاوب ببعض لواء هذه علاقات جيدة بالدولة الإيرانية، وحدها السعودية تفضل لواء المعارضة تحدها رغبة في المنافسة على دور إقليمي ليست أملاً له، أما الغائب الأكبر فسيفكون تركيا التي سبق للسعودية أنّ تخلّت عنها لانشغاله بالعدوان على اليمن، لا بدّ من إدراك أنّ المزراب السعودي قد شخّ بالانحاج الأميركي... هكذا يكون إغلاق الحدود قد فرض نفسه، فالعبور المأجور أصبح بلا مقابل، والتسهيلات الملاحية بلا رصيد، وربما بقي المزراب القطري الذي قد لا يستمرّ طويلاً، وهذا وحده لا يكفي بوجود أدوات مفتوحة وصناديق واسعة يصبّ ملؤها!

الحكومة التركية تتربّح الاجتماع، وبقلق بالغ تنتظر نتائج اللقاء الروسي الأميركي في الدولة الخليجية، تزداد ضربات قلب أردوغان وأولو مع العد العكسي ويرتفع ضغط الدم عند كليهما، وقد يرددان في سرهما سؤالا مرعباً: هل نسترجح من المولد بلا حمص !?